

الحلقة الثالثة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ماذا تفعل مستمعي عندما يخطئ أحدهم إليك؟ هل تحاول أن تنتقم منه وتأخذ بالثأر؟ أو تتكلم ضده إلى الآخرين كاشفاً عيوبه؟ وماذا عن المسامحة أو الغفران؟ هل فكرت مرة بمسامحة من يسيء إليك؟ وهل تستطيع أن تغفر للآخرين؟ لقد تحدث المخلص المسيح عن هذا الموضوع، موضوع مسامحة الآخرين والغفران لإساءاتهم. فقال لتلاميذه:

«وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار.... حينئذ تقدم إليه بطرس وقال: «يا رب، كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» قال له يسوع: «لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (بشارة متى ١٨: ١٥-٢١، ١٧-٢٢).

لنلاحظ أن المخلص المسيح تحدث إلى تلاميذه ولكل الذين سيؤمنون به لاحقاً، عن كيفية معاملة بعضهم البعض عندما يسيء أحدهم إلى الآخر. ومع أن هذا الأمر موجّه لجماعة المؤمنين بالمسيح، لكن نستطيع أن نستنتج قواعد عامة، يستفيد منها كل إنسان.

إن العلاقات بين البشر هي من الأمور الهامة جداً، لأننا نعيش في المجتمع ولسنا لوحدنا. وخلال علاقاتنا مع الناس من حولنا من أهل وأصدقاء وزملاء وجيران، لا بد أن يحصل سوء الفهم، وأن نخطئ إلى الآخرين، ويخطئون بدورهم إلينا. لهذا يجب أن تكون هناك قواعد ترشدنا. سنتأمل الآن بحديث المسيح هذا فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، لعلّ الخطوة الأولى عندما يحصل الخطأ تكون بالمعاقبة أو المكاشفة والمصارحة، بينما وبين الشخص الذي أساء إلينا. فقد تكون الاساءة عن دون قصد. وهناك احتمال كبير أن يعترف الشخص المسيء بخطأه، عندما نعاتبه ونصارحه بالخطأ. وهكذا تعود العلاقات إلى مجراها الطبيعي. أما إذا رفض الشخص المسيء الاعتراف بخطأه، فعلينا أن نستجد بالأصدقاء أو الزملاء الذين تكون لهم معرفة به أيضاً، ونأتي بهم أمامه ونعرض الأمر عليهم. فإذا أصرّ على عدم الاعتراف بخطأه أو الاعتذار عنه، علينا عندئذ أن نتجنب هذا الشخص، إذ نكون قد قمنا بواجبنا نحوه.

ولنلاحظ أن المخلص المسيح ركّز على ضرورة أن يكون هناك شاهدان أو ثلاثة يعالجون الموضوع معك، لكي يتم التأكد من صحة كلامك، وتبرأ ذمتك أمامه. وأنه إذا لم يسمع منهم فعليك أن تعرض الأمر على جماعة المؤمنين أي الكنيسة، وإذا لم يسمع منهم أيضاً يصبح لديك هذا الشخص كالوثني والعشار. كالوثني أي كالشخص الذي لا يعرف الله ولا يؤمن به. وكالعشار أي كجابي الضرائب الظالم الذي كان يفرض الضرائب الباهظة على الناس زوراً وبهتاناً. وتعبير آخر نتجنب هذا الشخص ولا نخالطه.

وعندئذ سأل التلميذ بطرس المسيح قائلاً: «يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» إنه بالحق سؤال هام جداً. وهنا انتقل بطرس من موضوع مواجهة الشخص المسيء إلينا بخطأه إلى موضوع الغفران. كان معلّم اليهود يعلمون أن على الإنسان أن يغفر ثلاث مرات لمن يسيء إليه، لكن بطرس تجاوز الأمر وسأل المسيح: «هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ يَغْفِرُ لِأَخِيهِ عِنْدَمَا يَخْطِئُ إِلَيْهِ؟ إِنْ الْعِدَدُ سَبْعِ مَرَّاتٍ يَشِيرُ إِلَى عِدَدِ الْكَمَالِ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ. لَكِنِ الْمَسِيحُ أَجَابَهُ: «لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ» أي إلى ٤٩٠ أربعمئة وتسعين مرّة. وهذا معناه أنه لا يوجد أي حد لغفراننا، بل يجب علينا أن نغفر دائماً لكل من يخطئ إلينا ويعترف بخطئه.

صديقي المستمع، يبدو واضحاً أن ما قاله المخلص المسيح عن موضوع الغفران، من الصعب تحقيقه. فهو يتطلّب منا أن نغفر دائماً لكل من يخطئ إلينا، وهذا أمر شبه مستحيل. لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكان الإنسان أن يصل إلى هذا السمو الراقي من مستوى الغفران الدائم الذي لا حدّ له؟ للجواب عن هذا السؤال علينا أن نعود إلى نقطة البداية أو الأساس. ألا وهي أن الإنسان خاطئ وشرير بطبيعته، ولا يستطيع أن يغفر للآخرين ولو لمرات قليلة، فكيف بأربعمئة وتسعين مرّة؟ إذن هناك ضرورة بأن تتغير طبيعة الإنسان من الداخل لكي يقدر أن يتحلّى بالمحبة ويغفر للآخرين ويسامحهم.

هل تعلم مستمعي أن الإنسان لكي يستطيع أن يغفر للآخرين عليه هو أن يختبر الغفران أولاً؟ أي عليه أن يختبر غفران الله لخطاياهم. وعندما يغفر الله خطاياهم الكثيرة جداً، يقدر عندها أن يغفر للآخرين، إذ يشعر بأهمية الغفران وبمقدار ما غفر له الله من خطاياهم. وكما يقول المثل: فاقد الشيء لا يعطيه. وعندما يغفر الله خطايا أي إنسان، يحل فيه طبيعة روحية جديدة. وهكذا يستطيع أن يسلك في طريق الصلاح والخير، وأن يأتي بالثمار الجيدة، ويقدر بالتالي أن يغفر للآخرين دائماً كما طلب المسيح. إذ يملأ الله قلبه بالمحبة، المحبة تجاه الله وتجاه الآخرين.

هل تعلم مستمعي أن الله قد أرسل المخلص المسيح لهذه الغاية بالذات؟ أي لكي يهبنا الغفران عن خطايانا؟ وليجعلنا خليفة جديدة؟ إن الله الخالق العظيم هو الله المحب أيضاً، ولهذا أرسل المسيح كلمته الأزلي لكي يموت بالنيابة عنا على خشبة الصليب، وليهب الغفران لكل من يؤمن به.

ألا تود مستمعي أن تتال الغفران عن خطاياك؟ أولاً ترغب أن تتحلّى بفضيلة الغفران تجاه الآخرين؟ لم لا تتوب الآن عن خطاياك وتؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب، وهكذا تصبح إنساناً جديداً، وتسلك في طريق المحبة والغفران.